القول في موقعها كالقول في موقع جملة (وأن سعيه سوف يرى) سواء فيجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على جملة (وأن سعيه سوف يرى) فتكون تتمة لما في صحف موسى وإبراهيم ويكون الخطاب في قوله (إلى ربك) التفاتا من الغيبة إلى الخطاب والمخاطب غير معين فكأنه قيل : وأن إلى ربه المنتهى وقد يكون نظيرها من كلام إبراهيم ما حكاه ا عنه بقوله (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) .

ويجوز أنها ليست مما اشتملت عليه صحف موسى وإبراهيم ويكون عطفها عطف مفرد على مفرد فيكون المصدر المنسبك من (أن) ومعمولها مدخولا للباء أي لم ينبأ بأن إلى ربك المنتهى والخطاب للنبي A .

وعليه فلا نتطلب لها نظيرا من كلام إبراهيم عليه السلام .

من الظاهر في هي أحكام تلابسه لا الذي المحض حكمه إلى الرجوع ا إلى الرجوع ومعنى A E تصرفات المخلوقات مما هو شأن أمور الدنيا فالكلام على حذف مضاف دل عليه السياق .

والتعبير عن ا بلفظ (ربك) تشريف للنبي A والتعريض بالتهديد لمكذبيه لأن شأن الرب الدفاع عن مربوبه .

وفي الآية معنى آخر وهو أن يكون المنتهى مجازا عن انتهاء السير بمعنى الوقوف لأن الوقوف انتهاء سير السائر ويكون الوقوف تمثيلا لحال المطيع لأمر ا تشبيها لأمر ا الذي تحدد به الحوائط على نحو قول أبي الشيص : .

وقف الهوي بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم كما عبر عن هذا المعنى بالوقوف عند الحد في قوله تعالى (تلك حدود ا فلا تعتدوها ومن يتعد حدود ا فأولئك هم الظالمون) . والمعنى : التحذير من المخالفة لما أمر ا ونهى .

وفي الآية معنى ثالث وهو انتهاء دلالة الموجودات على وجود ا ووحدانيته لأن الناظر إلى الكائنات يعلم أن وجودها ممكن غبر واجب فلا بد لها من موجود فإذا خليت الوسوسة للناظر أن يفرض للكائنات موجدا مما يبدو له من نحو الشمس أو القمر أو النار لما يرى فيها من عظم الفاعلية لم يلبث أن يظهر له أن ذلك المفروض لا يخلو من تغير يدل على حدوثه فلا بد له من محدث أوجد فإذا ذهب الخيال يسلسل مفروضات الإلهية " كما في قصة إبراهيم (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) الآيات " لم يجد العقل بدا من الانتهاء إلى وجوب وجود صانع لممكنات كلها وجوده غير ممكن بل واجب وأن يكون متصفا بصفات الكمال وهو الإله الحق, فا هو المنتهى الذي ينتهي إليه استدلال العقل ثم إذا لا ح له دليل وجود الخالق

وأفضى به إلى إثبات أنه واحد لأنه لو كان متعددا لكان كل من المتعدد غير كامل الإلهية إذ لا يتصرف أحد المتعدد فيما قد تصرف فيه الآخر فكان كل واحد محتاجا إلى الآخر ليرضى بإقراره على إيجاد ما أوجده وإلا لقدر على نقض ما فعله فيلزم أن يكون كل واحد من المتعدد محتاجا إلى من يسمح له بالتصرف قال تعالى (وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) وقال (قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) وقال (لو كان فيهما آلهة إلا ا لفسدتا) فانتهى العقل لا محالة إلى منتهى .

(وأنه هو أضحك وأبكى [43]) انتقال من الاعتبار بأحوال الآخرة إلى الاعتبار بأحوال الدنيا وضمير (هو) عائد إلى (ربك) من قوله (وأن إلى ربك المنتهى) .

والضحك : أثر سرور النفس والبكاء : أثر الحزن وكل من اضحك والبكاء من خواص الإنسان وكلاهما خلق عجيب دال على انفعال عظيم في النفس .

وليس لبقية الحيوان ضحك ولا بكاء وما ورد من إطلاق ذلك على الحيوان فهو كالتخيل أو التشبيه كقول النابغة : .

بكاء حماقة تدعو هديلا ... مطوقة على فنن تغني